

أبوحنيفة عبدالرحمن ابن أحمد
الشيخ العباسي الهاشمي



علم الكتاب في فصل الخطاب

الفصل الأول: هوية المتكلم

دراسة بنيوية في حدود المقارنة بين القرآن والبايبل

إعداد:
أبو حنيفة عبدالرحمن ابن أحمد الشيخ العباسي الهاشمي

مؤسس علم هوية المتكلم – باحث في بنية الخطاب الإلهي والنصوص السماوية و الدينية

الفهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة

الملخص 04

المقدمة 04

أشكالية البحث 05

توضيح معنى " كلام الله" 05

سؤال البحث.. 06

منهج البحث 06

التحليل البنيوي والمقارن 06

التشابه الظاهري بين بعض الآيات القرآنية والبايبلية 08

نموذج تطبيقي من المنهج: التحليل البنيوي للصوت في قصة يوسف عليه السلام 09

النتائج البحث 10

التوصيات 11

تأسيس علم هوية المتكلم 11

الخاتمة العامة للكتاب 13

الملخص

قال الله تعالى في القرآن الكريم: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ) سورة آل عمران (64) القران الكريم.

هذا الكتاب يتناول خللًا منهجيًا جوهريًا في الطريقة الشائعة لمقارنة القرآن بكتب أهل الكتاب ــــ أي اليهود والمسيحيين ــــ خاصة كما يظهر في البايبل المعاصر. ويُبيّن أن المشكلة الأساسية لا تكمن في ضعف الجدل التقليدي أو نقص المخطوطات الأصلية، بل في تجاهل سؤال أساسي: من هو المتكلم الحقيقي في النص؟

في حين أن القرآن ــــ وفقًا للعقيدة الإسلامية ــــ هو كلام الله المحفوظ الموحد، المتسق في الأسلوب واللغة وموحدة الجهة، فإن البايبل يعرض بنية نصية متعددة الطبقات تجمع بين السرد والتفسير والتعليق التاريخي. هذه الطبقات المتنوعة، التي غالبًا ما تفتقر إلى نسب واضحة، تخفي هوية المتكلم الأصلي.

يقترح هذا الكتاب نموذجًا تحليليًا جديدًا يتجاوز الافتراض الخاطئ بوجود تكافؤ نصي، ويركز الحوار بين الأديان على التحليل البنيوي لهوية المتكلم والمؤلف.

المقدمة

على الرغم من كثرة المناظرات الدينية، إلا أن القليل منها يقدم فهمًا حقيقيًا أو يفضي إلى نتائج بنّاءة. فالاعتماد المتكرر على التشابهات السطحية بين النصوص المقدسة غالبًا ما ينهار أمام التباينات العميقة في البنية والأساس اللاهوتي. وفي عالم اليوم، أصبح الحوار بين الأديان في كثير من الأحيان منصة لترويج الانتماء الديني، بدلًا من أن يكون سعيًا صادقًا وراء الحقيقة يستند إلى أصول منهجية راسخة.

يكمن خلل جوهري في العديد من النقاشات الإسلامية-المسيحية أو الإسلامية-اليهودية في الافتراض المسبق بأن جميع النصوص المنسوبة إلى الوحي الإلهي متماثلة في طبيعتها وسلطتها، وبالتالي يمكن مقارنتها مباشرة. غير أن هذا الافتراض يغفل السؤال الجوهري حول الجهة المتكلم: هل المتكلم في هذه النصوص هو الله حقًا؟ وإذا كان كذلك، فهل تم حفظ كلامه بشكل متميز وواضح؟

يُنظر إلى القرآن، في العقيدة الإسلامية، على أنه خطاب إلهي محفوظ ومتسق ــــ لم يُحرّف في لفظه أو معناه، وصادر عن متكلم واحد معلوم الهوية: الله. حتى النقّاد للإسلام يعترفون عمومًا بوحدة الكلام وتماسك البناء النصي في القرآن. أما البايبل ــــ في عهديه القديم والجديد ــــ فهو تجميع لنصوص غير متجانسة، كُتبت على مدى قرون، من قبل مؤلفين متعددين في الغالب غير معروفين. وقد جمع بين الإشارات الإلهية والسرد البشري، والتشريعات الدينية والمراجعات التاريخية، وأقوال الأنبياء وتعليقات المحررين ــــ مما يجعل من الصعب تتبع صوت إلهي متصل في جميع أجزائه.

وعليه، فإن ما بين أيدينا اليوم ليس التوراة الأصلية التي أنزلت على موسى، ولا الإنجيل الذي أوحي إلى عيسى (عليهما السلام)، بل نص مركب يضم أجزاء من الوحي ممزوجة بتفسيرات بشرية.

1. إشكالية البحث

لا يمكن تصنيف البايبل، في عهديه القديم والجديد، كنص إلهي خالص. بل هو أنطولوجيا مركّبة من كتابات تعود إلى فترات تاريخية متباينة، ألّفها عدد من الكتّاب — معظمهم غير معروفين. وتمتزج في هذه النصوص عناصر يُفترض أنها وحي، مع سرد قصصي وتأملات لاهوتية، مما يجعل من شبه المستحيل التمييز بين الكلام المنسوب إلى الله والتفصيلات البشرية.

تتجاهل غالبية المناظرات الدينية المعاصرة هذا التمايز الجوهري، وتنطلق من افتراض ضمني — لكنه معيب من الأساس — مفاده أن كل النصوص الدينية التي تدّعي صفة الوحي قابلة للمقارنة من حيث البنية والماهية. غير أن هذا التصور يتغافل عن طبيعة تكوين كل نص على حدة، وتاريخه في الحفظ والنقل. فالقرآن يتميز باتساق في الخطاب يُنسب مباشرة إلى الله، ويستند إلى سلسلة تاريخية واضحة في التدوين والحفظ. أما البايبل، فيفتقر إلى هذا الاتساق والوضوح، سواء في هوية المتكلم أو في سلامة النص وبنيته.

ويؤدي هذا الاختلال في طبيعة النصوص إلى خلق وهم التماثل، مما يشوّه فهم حقيقة الوحي، ويقوّض أي محاولة جادة للتحليل المقارن. ومن الضروري معالجة هذا الخلل — ليس فقط للمسلمين الساعين إلى توضيح موقفهم العقدي، بل أيضًا لغير المسلمين الراغبين في فهم سبب رفض الإسلام للنصوص التي تدمج بين نسبة الوحي وتأليف البشر.

2. توضيح مفهوم "كلام الله"

في الإسلام، لا يُفهم "كلام الله" على أنه مجرد مفهوم روحي أو تعبير عن الإيمان، بل هو وحي إلهي حقيقي — أنزله الله بألفاظه ومعانيه، عن طريق المَلَك جبريل، إلى النبي محمد صلى الله علية وسلم.

وقد تم حفظه كما أُوحي به دون زيادة أو نقصان، باللغة العربية. أما الترجمات، فرغم أهميتها لفهم المعنى، إلا أنها لا تُعدّ قرآنًا، بل تفسيرات لمعانيه.

لذلك:

- إذا أُدخلت كلمة واحدة في النص من غير الله، لم يعد النص يُعدّ كلامًا إلهيًا.
- تفسير كلام الله باستخدام مدخلات بشرية = إنزال النص من مرتبة الوحي إلى مرتبة التفسير.
- لا يُستخدم في العبادات والدعاء سوى القرآن وحده؛ فهو النص الوحيد الذي يُقبل كاملًا ولا يُراجع.
- ولا يجوز مزجه بأي نوع من الكلام — لا مع الحديث القدسي (الذي أُوحي به عن طريق جبريل لكنه ليس من القرآن)،
  ولا مع الأحاديث النبوية الصحيحة،
  ولا مع شروح المفسرين مثل الطبري، والسعدي، وابن كثير.

القرآن قائم وحده، غير منقسم، ولا يُضاهى؛ فهو كلام الله المطلق.
فكيف يُقارن إذن بكتاب مثل البايبل — نص تتعدد فيه الأصوات وتجهل فيه هوية الرواة؟

3. سؤال البحث

ينطلق هذا البحث من سؤال محوري:

هل يمكن إجراء مقارنة ذات معنى بين نصٍ أُنزل من متكلم واحد معلوم، ونصٍ تتعدد فيه الأصوات دون إسناد واضح إلى المتكلم الإلهي؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيسي سؤالان فرعيان:

- ما المعايير التي يمكن من خلالها نسبة النص إلى الله بحق، بدلًا من كونه منسوبًا إلى راوٍ أو مفسر؟
- كيف يؤثر غياب هوية المتكلم الواضحة في صلاحية مقارنة مثل هذا النص مع وحي محفوظ كالقرآن؟

4. المنهج البحث

يعتمد هذا البحث منهج التمايز البنيوي، والذي يركّز على تحليل العناصر التالية في النصوص المقدسة:

1. **هوية المتكلم**: هل المتكلم هو الله، أم نبي، أم راوٍ، أم كاتب مجهول؟
2. **وحدة الخطاب النصي**: هل يتحدث النص بصيغةٍ واحدة متسقة، أم يحتوي على طبقات متعددة من السرد؟
3. **البنية التركيبية**: هل النص خطاب تشريعي مباشر، أم سرد تاريخي/تفسيري؟
4. **الحفظ والنقل**: هل توجد سلسلة نقل متصلة وموثقة، أم انقطاعات تاريخية غير محققة؟
5. **الاستخدام العقدي والعبادي**: هل يُستخدم النص في العبادة والتشريع، أم يقتصر على الشرح والسرد؟

سيتم تطبيق هذا المنهج على نماذج مختارة من:

- القرآن الكريم.
- البايبل (عهديه القديم والجديد).
- وبعض كتب التفسير الإسلامي التي تشبه في بنيتها البايبل، بهدف إظهار الفارق بين "نص موحى به" و"نص مجموع".

5. التحليل البنيوي والمقارن

التحليل البنيوي: مقارنة بين القرآن والبايبل

يُظهر التحليل البنيوي أن الخلل في مقارنة القرآن بالبايبل لا يعود إلى اختلافات لاهوتية فحسب، بل إلى تباين جذري في طبيعة النصوص وبنيتها الداخلية. تقوم المقارنة غالبًا على افتراض أن القرآن والبايبل يقفان على قدم المساواة، في حين أن الواقع يكشف أن أحدهما خطاب إلهي محفوظ ومباشر، والآخر نص مركّب — مزيج من أصوات بشرية وإلهية مزعومة، دون إسناد واضح إلى متكلم واحد معلوم.

أولًا: أمثلة من البايبل (العهدين القديم والجديد)

- **المثال الأول: سفر التكوين – الإصحاح الأول**

"في البدء خلق الله السماوات والأرض..."
ثم يستمر السرد بصوت راوٍ غائب يصف أفعال الله، دون نسب الكلام إلى الله مباشرة — إلى أن يُقال لاحقًا:
"وقال الله: ليكن نور."

❖**المشكلة هنا:**
من كان يتكلم قبل أن يقول الله؟
من هو هذا الراوي؟ نبي؟ ناسخ؟ مؤلف مجهول؟

- **المثال الثاني: إنجيل متى – الإصحاح الخامس**

"ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل... وفتح فاه وعلّمهم قائلاً..."
ثم يبدأ عيسى بالكلام مباشرة: *"طوبى للمساكين بالروح..."*
لكن النص لا يذكر في أي موضع: "قال الله" أو "أوحى الله إلى عيسى".

❖**المشكلة هنا:**
هل هذا وحي؟ أم تعليم شخصي؟
هل كُتبت هذه الأقوال في حياة عيسى؟ أم بعد ذلك بعقود؟

- **المثال الثالث: سفر التثنية**

في سفر التثنية نلاحظ اضطرابًا بنيويًا واضحًا، وغموضًا في هوية المتكلم في مواضع متعددة. يبدأ النص بقول الراوي المجهول:
" هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل..." (تثنية ١:١)

ثم ينتقل الصوت إلى خطاب مباشر موجه إلى "إسرائيل" بصيغة المفرد:
"فالآن يا إسرائيل، اسمع الفرائض والأحكام التي أعلمكم..." (تثنية ٤:١)

وهنا يُطرح السؤال: هل "إسرائيل" المقصود هو النبي يعقوب؟ أم أن هذه أوامر إلهية موجهة إلى يعقوب من الله؟ أم أن موسى يخاطب بها بني إسرائيل كجماعة؟

بعد ذلك، يعرض النص ما يبدو أنه خطاب إلهي على لسان موسى:
"وقال الرب لي: اجمع لي الشعب فأسمعهم كلامي..." (تثنية ٤:١٠)

في هذا الموضع يبدو أن الصوت الإلهي يُنقل بوساطة، لكن دون حدود سردية واضحة.
هل موسى يروي كلام الله؟ أم أن الصوت الإلهي يتحدث من خلاله مباشرة؟

وأخيرًا، بعد وفاة موسى، يعود السرد إلى راوٍ مجهول بصيغة الغائب:
"فمات هناك موسى عبد الرب..." (تثنية ٣٤:٥)

كل هذه الانتقالات تحدث دون علامات تركيبية واضحة، أو أطر سردية تميز بين صوت الراوي، وصوت النبي، وصوت الله.
وهذا يؤدي إلى تداخل في طبقات الخطاب، واضطراب في هوية المتكلم داخل النص المقدس.
إن غياب هذا التمايز البنيوي يُضعف وضوح النص، ويثير إشكالات لاهوتية وبنيوية حول طبيعة الوحي في التقليد الكتابي.

ثانيًا: أمثلة من القرآن الكريم

●**المثال الأول: سورة طه – الآية 14**
{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي}
في هذه الآية وضوح تام في هوية المتكلم:
الله يُعرّف نفسه مباشرة، دون راوي، ولا مؤرخ، ولا وسيط.

●**المثال الثاني: سورة الإسراء – الآية 88**
{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ...}
الكلام منسوب مباشرة إلى الله من خلال الأمر "قل"،
وهو من أكثر الأساليب تكرارًا في القرآن، مما يؤكد أن المتكلم هو الله نفسه.

ثالثًا: إشكالية "هوية المتكلم" في البايبل

رغم أن الكتب تُنسب إلى الله، فإن الكلام الوارد فيها يُروى بأصوات متعددة ومتناقضة في بعض الأحيان:
كتّاب مجهولون، أنبياء، رسل، تلاميذ، ملوك، ومؤرخون. وفي مواضع، يُقال: *"هكذا قال الرب"*، ثم يتبع ذلك مباشرة سرد تاريخي بشري خالص.
هذا التداخل في الأصوات، والتحول في النبرة والمصدر، يجعل من المستحيل اعتبار النص بأكمله وحيًا نقيًا متصلًا دون انقطاع.

6. التشابه الظاهري بين بعض الآيات القرآنية والبايبلية

لا شك أن هناك آيات تبدو متشابهة بين القرآن والبايبل، ومن الأمثلة على ذلك:

- {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ} (سورة الإسراء: 32)
  ⇔ "لا تزنِ." (الخروج 20:14)

- {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (سورة الإخلاص: 1)
  ⇔ "الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ." (التثنية 6:4)

- {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ...} (سورة المائدة: 45)
  ⇔ "عين بعين وسن بسن..." (الخروج 21:24–25)

- {لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ} (سورة الأنبياء: 87)
  ⇔ "لا إله إلا أنت، يا رب." (سفر يشوع بن سيراخ 36)

لكن هذا التشابه لا يعني أن البايبل محفوظ بصيغته الأصلية، بل يشير إلى أن بعض بقايا الوحي السابق ما زالت مدفونة ضمنه وتتوافق مع ما جاء في القرآن.
وهذا ينسجم مع ما أعلنه **النجاشي** (ملك الحبشة وكان نصرانيًا)، حين سمع تلاوة سورة مريم من القرآن فقال:
"إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة."

بمعنى آخر: الوحي النقي يُعرف من وضوحه الإلهي حين يُسمع،
ولو كنا نملك نسخًا أصلية حقيقية من الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه قبل نزول القرآن،
لوجدنا أن مضامينها تتطابق تمامًا مع ما في القرآن — لأن مصدر الكلام في جميعها واحد: الله سبحانه وتعالى.

7. نموذج تطبيقي من المنهج: التحليل البنيوي للصوت في قصة يوسف عليه السلام

دراسة مقارنة بين القرآن، والتفسير الإسلامي، والبايبل

يقدم هذا النموذج تحليلًا بنيويًا لصوت المتكلم في واحدة من أشهر القصص النبوية: قصة يوسف عليه السلام. والهدف هو دراسة كيفية تقديم هذه القصة في ثلاثة مصادر مختلفة — القرآن، التفسير الإسلامي (الطَّبري أو ابن كثير كمثال)، والبايبل — والكشف عن الفروقات الجوهرية من حيث هوية المتكلم، وبنية السرد، ومصدر السلطة داخل كل نص.

أولًا: في القرآن – صوت الله في وحي مباشر (سورة يوسف)
{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ...} (الآية 9)
{فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ...} (الآية 15)
{قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ...} (الآية 17)

- يسير السرد في القرآن بصوت إلهي مباشر، دون راوٍ بشري أو مؤرخ أو مفسر.
- يكشف الله نوايا إخوة يوسف، ومخططهم، ودوافعهم النفسية بدقة وعمق لا يستطيع أي كاتب بشري بلوغه.
- النص موحّد في المصدر، إلهي في طبيعته، ومنسوب حصريًا إلى الله.

ثانيًا: في التفسير – ابن كثير نموذجًا

{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا...}
يعلّق ابن كثير على الآيات قائلًا:
"تشاوروا فيما بينهم بشأن يوسف وقالوا: اقتلوه أو ألقوه في أرض بعيدة... وقيل إن القائل 'لا تقتلوا يوسف' هو روبيل، وقد نصحهم: اطرحوه في غيابة الجب..."
"ثم جاءوا أباهم عشاءً يبكون، وقالوا: يا أبانا، إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا، فأكله الذئب. وجاؤوا بقميصه وعليه دم كذب..."

في هذا المثال تظهر عدة أصوات:

- صوت المفسّر (ابن كثير).
- أصوات رواة مثل السدي وكعب الأحبار.
- آثار من المرويات الكتابية (الإسرائيليات) والتفاسير غير القرآنية.

❖ في حين أن الآية الإلهية حاضرة في الخلفية، إلا أن الشرح البشري، والتحليل التاريخي، والتفاصيل التفسيرية تطغى على النص.

النتيجة: يتلاشى صوت الوحي تدريجيًا، ويتحول السرد إلى بناء بشري متعدد الطبقات، حيث لم يعد الصوت الإلهي مميزًا أو ظاهرًا.

ثالثًا: في البايبل – سفر التكوين 37: 18–22

"فلما رأوه من بعيد وقبل أن يقترب منهم، احتالوا لقتله.
فقال بعضهم لبعض: ها هو ذا صاحب الأحلام قادم! هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار...
لكن روبين قال: لا تسفكوا دمًا. اطرحوه في هذه البئر التي في البرية، ولا تمدوا إليه يدًا."

التحليل البنيوي:

- تُروى القصة بصوت راوٍ بشري بصيغة الغائب، وليس من قِبل الله.
- يتم نقل الأحداث، والمشاعر، وأقوال الشخصيات دون أي تعليق إلهي.
- لا يُقدَّم يوسف كنبي، بل كحالم مزعج في نظر إخوته.
- لا يوجد ذكر للوحي، أو للنية الإلهية، أو لبصيرة مقدسة.

❖**الخلاصة:** رواية البايبل قصة أدبية بشرية. صوت الله غائب بالكامل، والنص أشبه بالسرد التاريخي المتخيل لا بالوحي الإلهي.

الخاتمة الفصل

يُظهر هذا النموذج المقارن بوضوح أن البايبل، من حيث البنية، أقرب إلى أدبيات التفسير الإسلامي منه إلى القرآن الكريم نفسه. فالقرآن يحتفظ بصوت إلهي واحد، مباشر، ومطلق في جميع سوره، بينما يعرض كل من التفسير والبايبل تعددية في الأصوات البشرية. ولهذا، فإن أي مقارنة بين القرآن والبايبل تُعد خللًا منهجيًا، لأن البايبل لا يُقدّم نفسه كنص موحّد صادر من مصدر إلهي واحد.

إن أهل الكتاب يزعمون أن البايبل هو "كلام الله" فقط لأنه يحتوي على مقاطع يعتقدون أنها وحي إلهي، لكن المسلمين لا يعدّون التفسير — حتى حين يضم آيات قرآنية — على أنه كلام الله نفسه.
فكيف يُطلب من المسلم أن يقبل أن البايبل هو كلام الله، في حين أن بنيته أقرب إلى التفسير منها إلى الوحي؟

وعليه، فإن البايبل — حتى وإن احتوى على بقايا من الوحي — لا يمكن اعتباره معادلًا للقرآن، الذي يتميّز بصوت إلهي نقي، مباشر، وغير مُتوسَّط، لم يتداخله راوٍ ولا مؤلف بشري.

8. النتائج البحث

1. **القرآن نص فريد بنيويًا:**
   يحتفظ بصوت إلهي واحد ومتصل عبر جميع سوره. المتكلم هو الله دائمًا، والأسلوب ثابت في النبرة والسلطة والمصدر.
2. **أدبيات التفسير ليست وحيًا:**
   رغم أنها تستشهد بالقرآن، إلا أن التفسير من تأليف بشر، ويشمل تفسيرات، وسردًا تاريخيًا، وآراء لاهوتية. ولا يعدّه المسلمون من الوحي.
3. **البايبل أقرب في بنيته إلى التفسير منه إلى القرآن:**
   يتنقل بين السرد، والنبوة، والتشريع، والشعر، والرسائل الشخصية. وتتغير هوية المتكلم باستمرار — أحيانًا الله، وأحيانًا أنبياء، وغالبًا كتّاب مجهولون.
4. **البايبل يضم بقايا من الوحي:**
   لكنها مدفونة ضمن طبقات من التأليف البشري، وهذا المزج يمنعه من أن يكون خطابًا إلهيًا موحّدًا.
5. **القرآن وحده يحتفظ بصوت الله النقي:**
   وهو النص الديني الوحيد المتاح عالميًا الذي يُقدَّم — ويُعامل من أتباعه — على أنه كلام الله المباشر دون وساطة سردية.

9. التوصيات البحث

1. **يجب أن تبدأ أي مقارنة بين القرآن والبايبل بتحديد طبيعة كل نص:**
فالقرآن وحي إلهي محفوظ؛ أما البايبل فهو تجميع تاريخي. عدم التمييز بينهما يؤدي إلى مساواة زائفة.
2. **ضرورة فتح أرشيف الفاتيكان الرسولي أمام الباحثين والعامة:**
يوصى بأن يسمح الفاتيكان بالوصول الكامل إلى أرشيفه، لما يحتويه من مخطوطات قديمة وإنجيلية غير قانونية ((apocryphal، قد تُلقي الضوء على تقاليد نصيّة مبكرة، وربما تحتوي على تشابهات أعمق مع القرآن. استمرار حجب هذه الوثائق يُعيق البحث العلمي، ويجعل المقارنة بين القرآن والبايبل غير مكتملة ومنهجيًا مشوَّهة.
3. **المناظرات اللاهوتية يجب أن تركز على مصدر الخطاب:**
من المتكلم في النص؟ هل هو الله؟ نبي؟ مؤرخ؟ راوٍ مجهول؟
تحديد هوية الصوت لا يقل أهمية عن تحليل المضمون.
4. **ضرورة اعتماد علم هوية المتكلم كحقل مستقل في الدراسات الدينية:**
هذا العلم يُعنى بتحليل مصادر الخطاب المنسوب إلى الله في النصوص المقدسة، ويفرز بين صوت الله وأصوات الأنبياء والمفسرين والمؤرخين والرواة المجهولين.
ويُنصح بإدماج هذا العلم ضمن مناهج التفسير القرآني، ودراسات الكتاب المقدس، والنقد الديني المعاصر.
5. **الحاجة إلى تطوير علم جديد لتحليل صوت النصوص المقدسة:**
يتخصص في دراسة الهوية الداخلية للمتكلم داخل النصوص الدينية.
ويمكن لهذا الحقل أن يكشف الخداع البنيوي، ويستقصي أصالة النصوص من خلال تتبّع استمرارية الصوت.

10. تأسيس علم هوية المتكلم

سؤال الصوت، مصدر الخطاب، وبنية المتكلم في النصوص المقدسة

مقدمة الفصل:

لطالما غاب سؤال: *"من هو المتكلم؟"* ــــ أو تم تجاهله عمدًا ــــ عن كثير من الدراسات الدينية والتفسيرية، على الرغم من كونه المدخل الأساسي لفهم النص، والتحقق من مصدره، والتمييز بين الوحي الإلهي والخطاب البشري أو التاريخي.

تضع هذه الدراسة هذا السؤال في مركز التحليل، وتبني عليه علمًا جديدًا وظيفته الكشف عن هوية المتكلم وطبيعة الصوت داخل النصوص المنسوبة إلى الوحي، سواء أكانت قرآنية، أو كتابية ((Biblical، أو تفسيرية، أو تاريخية.

نسمي هذا التخصص:

"علم هوية المتكلم"

أولًا: تعريف الحقل العلمي

علم هوية المتكلم هو حقل تحليلي يُعنى بدراسة البنية الصوتية للنص، بهدف تحديد المتكلم الحقيقي داخله، وتمييز الخطاب الإلهي عن السرد البشري.

ويُستخدم هذا العلم كأداة منهجية للكشف عن مصدر السلطة في النصوص الدينية، من خلال تحليل تماسك الصوت، وانتقالاته، وطبقاته السردية، ووظيفته البلاغية، للإجابة على الأسئلة التالية:

- هل المتكلم هو الله؟
- أم نبي يتلقى الوحي؟
- أم راوٍ أو صحابي أو فقيه؟
- أم مؤرخ متأخر أو مصدر مجهول؟

وينطلق هذا العلم من سؤال جوهري:
"من المتكلم؟ كيف نُميّز صوته؟ وهل يمكن التفريق بين صوته وأصوات الآخرين في النص؟"

ثانيًا: أهمية هذا العلم

1. **تمييز الوحي عن التفسير**
   لا يجوز افتراض قداسة النص دون التحقق من هوية قائله.
2. **تفكيك النصوص المركبة**
   خصوصًا في التفسير والبايبل، حيث تتشابك الأصوات — الإلهي، النبوي، السردي، والتدويني.
3. **إحياء القراءة النقدية داخل الإيمان**
   لا ينفي هذا العلم قُدسية النص، بل يُنقّيها من الأصوات التي لا تنتمي إليه.

تأسيس هرمنيوطيقا جديدة
منهج تأويلي يبدأ لا بالمعنى أو السياق، بل ببنية الصوت.

ثالثًا: العلاقة بين هذا العلم والهرمنيوطيقا

الهرمنيوطيقا هي علم تأويل النصوص وفهمها.
لكن **علم هوية المتكلم** يُمثّل شكلًا فريدًا من الهرمنيوطيقا، لا يبدأ بـ:
"ما معنى النص؟"
بل بـ:
"من يتكلم في النص؟ وهل هو فعلًا المتكلم المنسوب؟"

فالصوت يحمل معه السلطة، والمكانة، والنسبة إلى الإله أو الإنسان. ومن خلال تحليل الصوت، يُعاد بناء العلاقة بين: المتكلم، والسامع، والناقل، والمفسّر.

رابعًا: أدوات علم هوية المتكلم

1. تحليل بنية الصوت
من المتكلم؟ من المخاطب؟ هل هناك راوٍ؟ هل ينتقل النص بين طبقات صوتية متعددة؟

2. تفكيك السياق الداخلي
متى يظهر ضمير المتكلم؟ ولمن يُنسب؟ هل لله، أم لنبي، أم لراوٍ بشري؟

3. تمييز أنماط الخطاب

- الخطاب الإلهي: الأوامر، الغيب، الخلق، الوعد، الوعيد.
- الخطاب النبوي: البلاغ، الدعوة، المحاججة.
- الخطاب البشري: التفسير، الدعاء، السرد.

4. التحليل المقارن للنصوص
لرصد التكرار أو التحول في الأصوات بين مواضع متعددة داخل النص أو بين النصوص.

خامسًا: مستقبل الحقل العلمي

- **تثبيته كتخصص أكاديمي مستقل**
ضمن كليات الشريعة، والدراسات الدينية، واللاهوت المقارن.
- **دمجه في مناهج مقارنة الأديان**
خصوصًا الحوار الإسلامي-المسيحي، وتحليل نصوص الكتاب المقدس.
- **تطبيقه في تجديد منهج التفسير القرآني**
وفي القراءة النقدية المعاصرة للنصوص المقدسة.

خاتمة الفصل:

لقد آن أوان خروج هذا العلم إلى النور — متجاوزًا التقاليد الجامدة التي طمست الخط الفاصل بين كلام الله وكلام البشر، أو قبلت بالنقل دون مساءلة مصدره.

علم هوية المتكلم لا يشكك في الوحي، بل يُطهّره من التحريف، ويرفع سلطته النقية، ويُعيد بوصلة البحث الديني إلى السؤال الجوهري:

من المتكلم؟ كيف تكلم؟ وهل الصوت الذي بين أيدينا هو صوته — أم صوت آخر؟

10. الخاتمة العامة للكتاب

يناقش هذا الكتاب بأن الخلل الجوهري في معظم المقارنات والمناظرات بين الأديان لا يكمن في مضمون النصوص، بل في البنية النصية لما يُقارن به.
فالقرآن وحيٌ مباشر، موحَّد في بنيته الصوتية، إلهي في مصدره، محفوظ في لفظه، معلوم اللغة، لا يعلوه قولُ بشر، ومنزَّه عن النقص والعيب.

أما البايبل، فهو تجميع بشري، يضم بقايا من الوحي ممزوجةً بالسرد والتفسير والتدوين على أيدي أشخاصٍ مجهولين، مع اختلاف في اللغات والترجمات، مما يُنزِل ما بقي من الوحي الإلهي إلى منزلة التفسير والتحليل.

وقد بيّنّا — نظريًا وتطبيقيًا، وخصوصًا من خلال قصة يوسف عليه السلام — أن هوية المتكلم تمثّل العنصر الحاسم في تقييم سلطة النص الديني. فأي مقارنة تتجاهل هذا البعد ليست فقط غير دقيقة، بل ساقطة منهجيًا.

إن السؤال لا يقتصر على ماذا في النص؟، بل يتعدّاه إلى :من هو المتكلم؟
وما لم يكن الجواب واضحًا بأن المتكلم هو الله ، فلا يمكن اعتبارُ نص معادلًا لآية من القرآن.

ولا حجّة لمن لا يعرف :*من المتكلم؟*